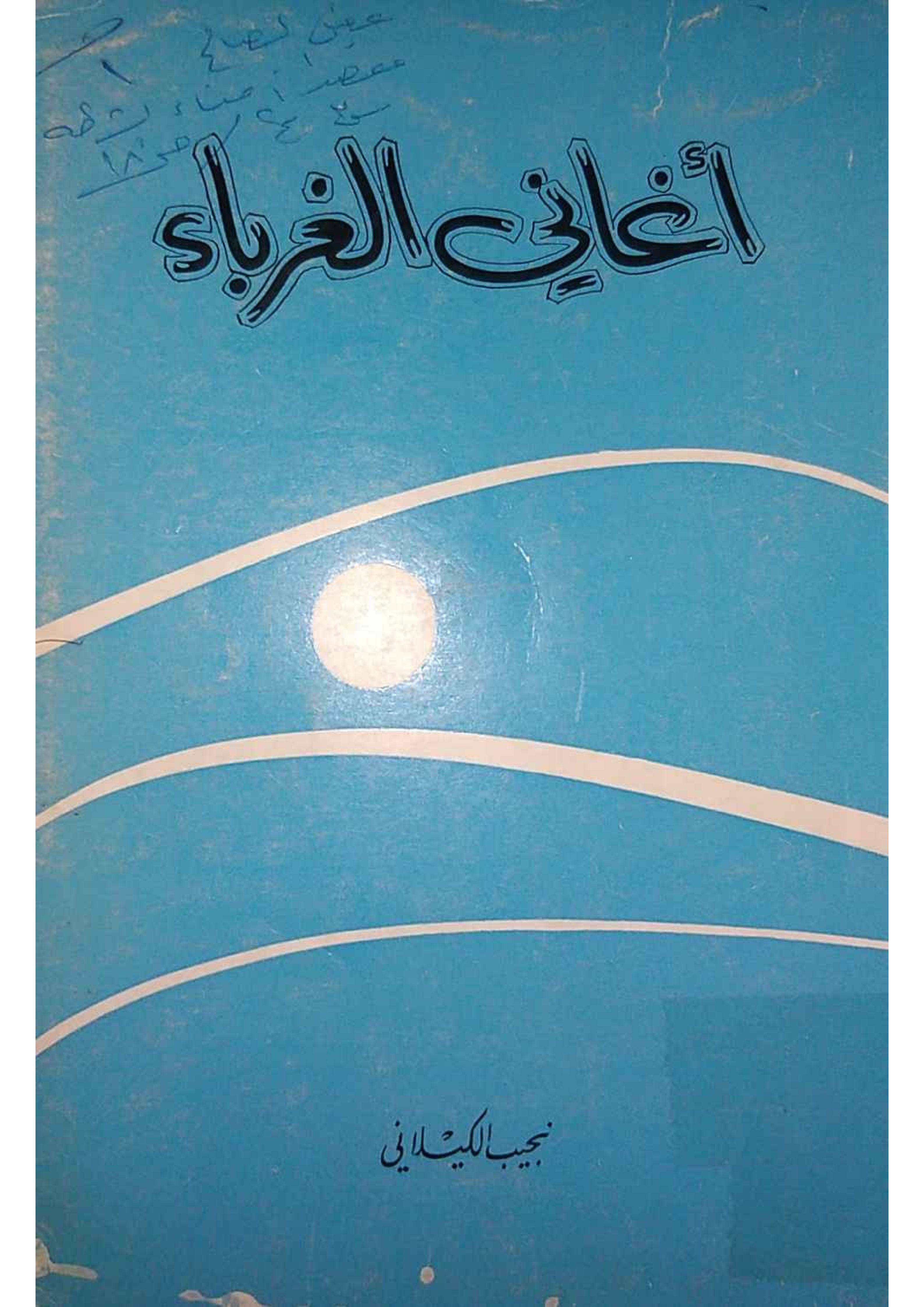

أغاني الغرباء
نجيب الكيلاني

أغاني الغربـــاء

الطبعة الأولى
١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م

أغاني الغرباء

شعر

نجيب الكيلاني

« ... طوبـــى للغرباء ... »

كلمــة

إن الغربة واقع نفسي مرير ، وأكثر الناس إحساساً بها هم الفنانون وحملة المبادىء ، ومن ثم يزداد الشعور بالغربة كلما تطرفت المبادىء أو ازدادت حساسية الفنان ، وإن صح اعتباري واقعاً تحت وطأة الحالين ، فإن هناك عاملاً ثالثاً لا يمكن إغفاله ، إذ أن له أعمق الأثر في كل ما كتبت من شعر ونثر ، ألا وهو بقائي في السجون لمدة طويلة ، وأنا في أعنف سنوات عمري حماسة وانفعالاً وطاقة ..

لقد فكرت في نشر نتاجي الشعري وأنا في سجن القاهرة في عام ١٩٥٧ ومن ثم لم يتيسر لي جمع ما سبق كتابته قبل عام ١٩٥٥ ، والحقيقة أن أغلبه قد ضاع في خضم الأحداث الكبرى التي اجتاحت حياتي في تلك الفترة الحاسمة ، ولم يقف ذلك حائلاً دون إصدار تلك المجموعة التي كتبتها كلها في أيام السجن الأولى ، ومن ثم فلا غرو إذا تشابهت محتوياتها الفنية ، وملامحها الشعورية ، وغصت بالكثير من الآلام والدموع والذكريات المريرة ، إلى جانب ما تنبض به من توهجات نضالية ، وصراعات مريرة ضد عوامــل اليأس والضياع والأسى في كثير من الأحيان ..

ولقد حاولت أن أنشر بعض هذه القصائد في المجلات الأدبية ، فقدمتها إلى مجلة الأدب خاصة ، وكذلك إلى غيرها من المجلات ، ولم أحاول أن أنشرها كاملة لظروف معينة ، فنشرت أجزاء من هذه القصائد ، مثل « في الوادي الرهيب » و « يا بدوي » ، و « القلندري » وقصيدة « عيد الأم » و « وردة أمام حجرة الإعدام » و « غداً نلتقي » ، و « أغاني الغرباء » و « فتى اللد » ... الخ ، ولهذا أراني مضطراً أن ألفت نظر القارىء إلى أن القصائد التي قرأها في بعض المجلات لم تكن كاملة .. وإني إذ أحرص على نشر هذه الأشعار ، إنما يدفعني إلى ذلك واجب لا أستطيع الإفلات منه ، وهو أن تلك القصائد إنما هي قطعة من تاريخ ، وتعبير عن حالة ، وصورة صادقة لجو ... عشت هذه الأشعار بكل ما فيها من يأس وأمل ، وفرح وترح وصعود وهبوط وعوز وظلمات وقوة وضعف عشتها بما تترنم به من نفثات الغربة القاسية وأهوالها العنيفة .. عشتها بما يضج فيها من تساؤلات حائرة ، وأمنيات قاصرة ، وأحلام عاجزة متعثرة ..

لقد حاولت أن أكون صادق التعبير عما يعتمل في نفسي طوال تلك الفترة القاسية ، رفضت الزيف وبريقه الأخاذ ، ومن ثم فإني فخور بتقديم التموج النفسي لـذاتي وما يصاحبه من شتى المشاعر والانفعالات ، فالإنسان الذي لا يعرف الدموع ، ولا يعترف بمرارة الآلام ، ونوازع الضيق والأسى ، إنسان لا وجود له في عالم الواقع.

اني لا أفخر بما في هذه الأشعار من بلاغة ، فمن الشعراء من

هو أبلغ مني بكثير ، ولا أتيه بما تحويه من أفكار ، فهناك من هو أعمق وأخصب . ولكني فخور – جد فخور – بما تحمله من صدق ، وما تهدر به من شحنات عاطفية أمينة في تعبيرها عن ذات إنسـان يتعذب ، ويقاسي من الغربة والقهر والعناء ..

ألا ما أكثر الغرباء في أيامنا ... إنهم يصرخون .. ويحذرون .. لكن هدير المادة ، ومباهج الحياة الحديثة ، وما تنضح به من انحلال وانحرافات واستهتار وفلسفات عقيمة ... أقوى بكثير من صراخ الغرباء وتحذيرهم .. فطوبى للغرباء ...

نجيب الكيلاني

في الوادي الرهيب

١

أبي قد راح « محمود » الى وادي النوى القاسي
فهل سيعود يـا أبتي حديد العـزم والباس ؟
وطلعته .. وبسمته .. أتبقـى ذات إيناس ؟
أيعلم شوقيَ المهتاج يا أبتي وإحساسي ؟
فؤادي مفعم باكٍ وعفت مرارة الكاس
وروحي يا أبي سكرى بخمر الحزن والألم
أبي ما بالنـا نمضي وروح الحـق مقهوره
وأحلامي وآمالي بسجن الليـل مأسوره
يُقال الناس أحـرار ودنيا الناس مهـدوره
أريد الفجر بسّـاماً وأعشق يا أبي نـوره
قطيع نحن يا أبتي . ولا فرق سوى الصوره
سياط القهر تدفعنـا لوادي العسف والنقَم
أبي مـا زلت أذكره وعـود شبابه اليـانعْ
وأذكر أننـا كنا نفـيء لظله الـرائع

وكان حديثه الـــرقراق نبع السحر للسامع
ومحمود له قلب كبير ... يا أبي .. واســع
هو المتبــوع يا أبتي وليس الحـــر بالتابع
هو الحب .. هو النبل .. وغيث الخير والهمَم ِ

سمعت الناس قـــد قالوا أخي قد صار مسجونا
فمن سجنوه يا أبـــتي فذاق الذل والهونـــا
وما في قريتي السمحاء أعداء ليؤذونا
أما عـــرفوه إنسانا .. وجوّاداً ... ومأمونا ؟
فكيف يصير يا أبـــتي بعسف القيد مرهونا ؟
وأمي لم تـــزل تدعوه في صحوٍ وفي حُلُم ِ

أبوها قال : يا ليلى .. إله الكون يرعـــانا
وليس سواه يسمعنا نبث اليه شكوانـــا
إذا ضـــاقت بنا أرض ، فعند الله مـــأوانا
بلوت الدهر يا ليلى بماضيه الذي كانا
فلم أرَ غير خالقنا يخفف من رزايانا
فربَّ الناس يا ليلى قوي .. جـــد منتقم ِ

أخوك الحر يا ليلى أراد الناس أحرارا
ويكره سيمة العبـــدان والإذعان إن ســـارا
ويمقت شيعة الطغيـــان أن تبقى لنا جـــارا
أقاموا في طرائقنا ، وحول الفكـــر أسوارا
هم الذؤبـــان يا ليلى أثـــاروا البغي والعـــارا
فأقسم أن سيقهرهم ، وكان البَـــرَّ بالقسم ِ

فقالت : كيف يا أبتي يجازي الحرّ إن آبــا ؟
أيلبس تاجه البرّاق يخطر فيه إعجابا ؟
أيلقى بعد صولته أخلاءً وأحبــابا ؟
أجل .. بالطبع يا ابتي .. فما عِبْنا ولا عابا
ففيم السجن يلقفه ويملأ كأسه صابا ؟
تكلم يا أبي .. أفضحْ لتخمد جمرة الألمِ
دعيني الآن يا ليلى ، فأمر الناس في عجبِ
فما أكثــر ما نلقى ، بــلا داعٍ ولا سببِ
وكم صادفت في دهري ، فنون الغدر والكذبِ
وكم في القلب .. واأسفا .. من الآهات والنُدبِ
سيبقى الناس يا ليلى ضحايا العسف والرهبِ
فصاحت : كيف ابتي ؟ وما أسطورة القيمِ ؟
بكى المظلــوم لم يلفظ سوى آهات ولهــانِ
وفي دمــع الأسى المكبوت إرعــادات طوفانِ
أيجدي القول والأطفال مثــل بلابل البــانِ ؟
حياتهمو خيالات ، وإرهاصات وسـنانِ
كأن العيش أغنية .. وحب خالد .. هــاني
فصاحت : كيف يا أبتي ؟ أتبكي صنيعة القيمِ ؟
فكفكف دمعةً هطلت .. وكوّر كفه الأسمرْ
وحملق في الدجى الساجي خلال إطاره الأغبر
وصاح وكفه تهوي هــويّ الصخر أو أكبــر
على اللاشيء يضربها .. فكم قاسى .. وكم أبصر

وقال وصوته دوّى دَوِيّ العصف إذ يـزأر
سنسحق عصبة الطغيان والبهتان والألمِ
كفى ليلى .. كفى سؤْلاً .. دعي الدنيا وما فيها
فقلبك لم يـزل يحبو صغيراً في روابيهـا
ومحمود غـداً يأتي لقريتنـا وناديها
لأمته .. لغايته .. لجدب الأرض يرويهـا
غداً تعلـو منائرها ، غداً تزهـى معانيها
وحيث سناه يغمـرنا كفيض الساكب العممِ
أجل سيعود يا ليـلى ، ويحمي ركبه القـدرْ
وأجل ورفاقه معـه ، فجيش الحق منتصر
فهم زحفوا ، وهم وثبوا . وهذا الليل معتكر
وكم لاقـوا بعتمته من البلـوى وكم صبروا
لقد عاشوا لأمتهم فللرحمن ما بذروا
« أجل .. سيعود يا ابتي .. وتخمد جمرة الألمِ

* * * *

٢

« ... ولم يعد محمود إلا أشلاءً ممزقة ، لقد مزقته أنياب الغدر في ظلمة السجون الرهيبة ، فسال دمه الحر على أديمها الظامىء فعادت ليلى إلى أبيها تترنم بأبياتها الحزينة .. »

أبي قد عـاد محمود ، ولكن عـاد أشلاءَ
ترفّ على مواكبه هنا الرايات حمراءَ

مضى محمود مثـــل الصوت حين يذوب أصداءَ
غدا أسطورة بيضاء في التاريخ سمحاءَ
دهتني النكبة الكبرى ، فناء القلب إعيـــاءَ
جنيت من الهـــوى المشبوب يا أبتاه حـــرمانا

أهم ذبحـــوه يا أبتي فضج نجيعه القـــاني ؟
أهم شـــنقوه في ليـــلٍ شحيح النور شيطاني ؟
أهم حـــرقوه في وادٍ بنـــار الحقد ملآنِ ؟
مضى كالبسمة الزهراء تخنقها يد الجاني
فناح الشوق في جسدي وماجت فيه اشجاني
وأُبْتُ ألـــوك آلاماً .. وآهاتٍ .. وحـــرمانا

أتذكر يـــا أبي لما شدوتَ بغنـــوةِ الأمـــلِ
وقلت لنا غـــداً يأتي ، ويضرب أروع المثلِ
صبرنا يـــا أبي حتى خشيت عليك من مللِ
وخفت غيـــاب محمود الى أن ينطوي أجـــلي
وتمسى نضرة الدنيـــا لدى عينيّ كالطلـــلِ
ومر العمـــر يا أبتاه أحـــزاناً وحرمانا

وأرض العسف يا أبتـــاه لا تصغي لآلامـــي
بها قوم قد ارتفعوا بأوزارٍ وآثـــامِ
زوت في زحمة البهتان والطغيان أحلامي
وأدمى الشـــوك في الظلماء أظفاري وأقدامـــي
فزادت رغم طول الصبـــر أوهامي وأســـقامي
أفتش لا أرى إلا جوىً يكوي وحرمانا

وها قــد عاد محمــود ، ولا مجد ولا فخــرُ
فأين العدل يا أبتــاه ؟ أين الوعــد والنصرُ ؟
أنحيى يا أبي مــوتى يؤرق عيشنا القهــرُ ؟
لقد كثرت رزايانا ، فليس يحيطها حصرُ
يُشاد لفاجــر قصر ، ويُبنى للهدى قبــرُ

أكان نصيبنا في العيش يا أبتاه حرمانا

تكلم يا أبي .. قل لي .. فعقلي لم يزل يجهلْ
لقد أصمى الأسى قلبي ، فماذا في غد نفعــلْ
أألقى الناس يا أبتــاه في دنياي لا أخجلْ ؟
ومحمود الذي أمسى شهيد القيد والمعــولْ ؟
أأزرف خلفه دمعي ؟ أيكفيني البكا الأعزلْ ؟

أصار جزاء صولته تباريحا وحــرمانا ؟

غريب أنت يــا محمود في كهف من الغــدرِ
غريب .. أرهقت زنــديه دنيا القهر والشرِ
يدافع موجهاً الطاغيَ في يد وفي حذرِ
غريب أنت في قــوم أعدّوا الغلَّ للحــر
فرحت تجرجر الأغلال .. تضرب قاسيَ الصخرِ

تلاقى أينمــا تمضي تهــاويلاً وحرمانا

أبي .. عجباً .. قد اختلت بدنيــانا الموازينُ
إذا ما أبصــروا حَسَكاً لقالوا عنــه نسرينُ
قوام حيــاتنا الســوداء إيهــام وتلقينُ
برمنا يــا أبي بالصبر .. بعض الصبر تسكينُ

وشعبي مرغمٌ .. باكٍ .. كسيرُ القلب .. مسكينُ
يروّى قلبه الظامىء أوهاماً وحـِـرمانا
أفاق الشيخ من حُلُـــم رهيب مفعم قاسي
وفي عينيه إصرار مرير العزم والباسِ
وأنفاس محشرجة .. تضج .. كقرعِ أجراسِ
وحقد كاللظى الموتور في آفــاق «أوراسى»[1]
وثأر أحمــر الأنياب .. يمضي خلف نبراسي
أفاق فأبصر الأكوان أحزاناً وحرمـــانا
وهبَّ كغضبة الإعصـــار كي يقتل .. كي يهدمْ
ويثأر لليـــالي السود ذات الطـــالع الأشأمْ
ويثأر للدم المهراق فالطغيان لم يرحمْ
وينفخ في لهـــيب الثأر لا يهـــدأ ولا يحجمْ
لكم سفكوا دمـــاً حرّاً بلا جرم ولا مـــأثم
وفاضت من مظالمهم دروب الارض حرمـــانا
وودع خلفه ليلى لتنعـــي حظها الدامي
ومحمودَ الذي صرعوه غدراً منذ أيامِ
وحلماً طاف جذّابـــاً .. توارى طيّ إبهـــامِ
درينا من تهاويلٍ وأحـــزانٍ وأسقامِ
وشعب عاثر الآمالِ في ذلّ وإظلامِ
يعيش يلوك آلاماً وآهاتٍ وحـــرمانا

١٩٥٧

---

(١) جبل شهير بالجزائر ، لعب دوراً خطيراً في الثورة الجزائرية .

وردة أمام حجرة الإعدام

أيبسم ثغرك الوضّاء للأيام جذلانا ؟
أيرقص جيدك الميّاس للأنداء نشوانا ؟
ويهمس عطفك الريّان للأنسام هيمانا ؟
ويومض لاعج الأشواق في عينيك تحنانا ؟

فأفيقي وانظري الدنيا بعين تُبصرُ
واقذفي بالكأس تنجى من زعاف يُشكرُ

فحمرك خدك الفتّان في كفّي تشتعلُ
وهائج شوقك المجنــون لم يلحظه مرتحــلُ
يرى في بسمك المخبــول غدر الدهر يعتمل
يرى في لونك الباهي دماً .. والناس قد جهلوا

فأفيقي وانظري الدنيــا بعين تبصرُ
واقذفي بالكأس تنجى من زعاف يسكرُ

أتضحك « وردة المبكى » وحبل الموت عن كثبِ ؟
وتشمخ فــوق أتراب بثوب زائــف قشبِ ؟
وأنسام تغــازلها ؟ .. أما حنّت لمغتــربِ

فتيهي كيفما تهوين حبـــل رداكِ عن كثبِ
وأفيقي وانظري الدنيا بعين تبصرُ
واقذفي بالكأس تنجـــي من زعاف يســـكر

سأقسو وردة المبكـــى وأسهب في ملامـــاتي
رأيتك في كـــرى عني ، وعن محزون أنّـــاتي
كأنك صغْتِ من عبث ومن جور وإعنات
فأين شذاك إذ يهـــفو طليقاً من شـــكاياتي
فأفيقـــي وانظري الدنيـــا بعين تبصـــرُ
واقذفي بالكأس تنجـــى من زعاف يســـكر

حسبتك وردة المبكى من الأحـــلام تصحينا
لكي ترثي لذى شجو ثوى في اليأس مسكينا
رأيتك وردة المبكـــى مع الأحـــلام تسرينا
وخلتِ بكاي إذ يهمي عليك ندىً جرى حينا
فأفيقي وانظـــري الدنيا بعين تبصرُ
واقذفي بالكأس تنجـــي من زعاف يسكر

تعالي وردة المبكى ، فعندي حكمة الأبـــدِ
ولست أقولهـــا زهواً فمـــا تخفى على أحـــدِ
جمالٌ كلها الدنيـــا إذا مسَّ الرضا خلَدي
ويأس إن طوى قلبي ظـــلام البؤس والنكد
فأفيقي وانظـــري الدنيا بعـــين تبصر
واقذفي بالكأس تنجـــي من زعاف يسكر

أتعقل وردة المبكى حديث الثائر الباكي
وتلحظ في مقاطعه ضراع العاتب الشاكي
أَيُرْقَأُ دمعيَ الملتاع إشفاقاً بيمناكِ
ألا شتان إذ ليست كدنيا الناس دنياكِ

لا تفيقي وانظري الدنيا بعين تحلمُ
واسكبي الكأس على ثغر شغوف يبسمُ

ليبسم ثغرك الوضاء للأيام جذلانا
ليرقص جيدك الميّاس للأنداء نشوانا
ليهمس عطفك الريان للأنسام هيمانا
ليومض لاعج الأشواق في عينك تحنانا

لا تفيقي وانظري الدنيا بعين تحلم
واسكبي الكأس على ثغر شغوف يبسمُ

على طلل الهوى البالي عصفت بكل أوتاري
وقمقم سحريَ الخالي هوى في قاع أبحارِ
فلا إيقاع أنملة ، ولا أحلام أسحارِ
ولا فجر ليلهمني ولا ترجيع أشعار

لا تفيقي وانظري الدنيا بعين تحلمُ
واسكبي الكأس على ثغر شغوف يبسمُ

هي الأيام – لو تدري – تجود لنا لتستلبا
لها في عمرنا الظامي مطامع لم تزل عجبا
وتبغي في نضارتنا وفي آمالنا إربا

أتدري زهــرة المبكى لعسف زماننــا سببا

لا تفيقــي وانظري الدنيــا بعين تحلمُ
واسكبي الكأس على ثغر شغوف يبسمُ

١٩٥٦

القلندري الجديد...

« القلندرية طائفة من الصوفية ، لها بعض انحرافات ، كان دراويشها يحلقون رءوسهم ولحاهم ، وينطلقون في آفاق الأرض دون التقيد بوطن ، وجاء الشاعر الفيلسوف « محمد اقبال » ، وجعل من القلندري نموذجاً لفلسفته الجديدة ، ونفى عنه انحرافاته وتهويماته ، بحيث أصبح تجسيداً لأفكار اقبال وفلسفته الاسلامية .. وهذه القصيدة التي قيلت في ذكرى اقبال قد استوحيتها من فلسفته العظيمة » .

الحب والزهد زادي   وكل أرض بلادي

ومن ثراها وسادي   ولا أدين وربي

لحاضر أو لبادي

وهبت للحق نفسي   ملأت بالصفو كأسي

لله صمتي وهمسي   وثورتي وسكوني

وحاضري وتلادي

خلعت عني غروري   وعفت كل الشرور

هيهات أنسى مصيري حياتنا خفق بــرق

أو قبضة مـــن رمادِ

إن ضاق كوني فقلبي رياض طهرٍ وحبٍّ

نادوا .. فكنت الملبّي لهمهمات الضحايا

في كل نجدٍ ووادِ

ما حـــاجتي للمتاعِ وشاسعات الضيـــاعِ

إني نشرت شراعـــي في بحر عشق ووجد

يفيض في كل نادِ

شربت كأس شبابـــي نشوان بـــين صحابي

أجوب عبـــر سرابِ حتى تيقنت أنـــي

أسيرُ ماءٍ وزادِ

لو أدركوا ما الحقيقة وكُنْهَ هذى الخليقه

لشق كل طريقه الى عوالم أخرى

الخلد فيهن حادي

إن تعثروا فطريقـــي ملأى بزهـــر عبيقِ

حيث الصفاء رفيقـــي والنور يضفي عليهـــا

غلالة من رشادِ

دنياكمو مثـــل غابِ مروّعٍ بالذئـــابِ

لا حكم الا لنـــابِ فيه وظفر خضيـــب

يختال بين العباد

إن اعتناق الســـلامِ ديني ، وحب الأنامِ

لا تسألوا عن مرامي إن الطريق جليّ
ممهد بالوداد

إذا حملت سلاحي وجُلْتَ عبر بطاحِ
لا ترجفوا .. ما كفاحي إلا لأحفر قبراً
لمارقٍ أو لعادي

البحر رهن يميني والبر بعض شئوني
إن كان سيفي يقيني تمسي الطبيعة عبداً
مسخراً لمرادي

إني أسائل نفسي هل بين مهدي ورمسي
إلا ثمالة كأسٍ محمومة بالأماني
أو كومة من رمادِ

١٩٥٦

بائعة الحب

أبائعـــة الحب لا أشتري فجودي بما شئت أو قتّري
فما شفني منك ذوْب الجوى ولا هاجنـــي نشوة الشاعر
ولن أستجيب لوهج الشفاه إذا أُشعلت بهوىً ثـــائر
فغصنك ذاك الرطيب الوضيء ضحاياه كُثْـــرٌ ولم تُحصرِ
وكيف وأنت كروض مبـــاح حطيم الأزاهر والمزهـــرِ
لئن شع من ثغرك المستهـــام شعاع لأظلـــم في محجري
شعاعك شق طريق الضـــلال وعفّـــى على المثل الأكبر

* * * *

فما أحلى رشفات الثغـــور ملـــوثة بالخنـــا الفاجـــرِ
أبائعة الحب ما بيننـــا وفاق ولا جـــال في خاطري
إذا كان قلبي رحيب المدى فديني سياج له .. فاحذري
على بـــابه قد رصدت العيون كما يُـــرصد الموت للغـــادر
ويا ويـــح من قد يطوف به ويقبل في خطوه العاثر

* * * *

أبائعـــة الحب إن الهـــوى هوان إذا كان من تاجرِ

أنخّاسة أنت في سـوقه تبيعنه بالرخيص الذري
فما ذاك حب ولكنـه بضاعة سوءٍ لمن يشتري
عهدت الهوى كالنضار الوضيء أصيل المظاهر والمخبـرِ
عهدت الهـوى نغْـمة حلوة بها المـوج ينشد في الأنهرِ
وبلبلة الدوح تشدو بهـا على نايها الخالد العبقري
عهدت الهوى نفحة كلما تتوق لهـا النفس لم تصبرِ
وتحيي صريع القلوب إذا هوت كالحطـام ولم تجبرِ

* * * *

أُريد الهوى الطهر في قدسه أو المجد في أفقـه الزاخر
أريد النقاء على سفره وأبغي الولاء مع الأسطرِ
أريد الصفاء على عهده يتيه بـرونقه ناظـري
وماضيك ! ! ماضيك ما تعلمين لقد فاض كأسك بالداعـر
ليالٍ هـي الوحل مما جرى وماء عـلى سترها الأغبـرِ
صرعتِ الفضيلة في سـكرة من اللهو والأمـل الكافرِ
وأوقظت بعد فوات الأوان فنوحي عـنى الطلل الداثر

* * * *

الله الله أوبي ولا تيأسي وعن فيئه الثرّ لا تدبـري
وروّي الثرى بدموع التقى فدمع الذي تـاب لم يهدر
وعفّي على أثر شـائن وقومي الى شِلْوه أقبرى

١٩٥٥

حـــوار

« قيلت في عدوان ١٩٥٦ على مصر » .

الانجليزي :

أخي قد عادت الأيــام بالآلام والثــوره
وأصدر « ايدن » المــأفون في آجالنا أمــره
فهل حقــاً « بنو التايمز » أمتهم هي الحره ؟
لقد كذبوا .. فهم شربوا كؤوساً كدرة مره
وباعوا الدين والدنيا وباعوا الحب والأسره
وآبوا يلعقــون الدمع والأشجان والحسره
وإيدن وحده حــر يؤجج شعلة الحــربِ

الفرنسي :

أجل .. فالحــرب غانية ، لهــا تيه وبسماتُ
وإن الغيد — لو تدري — حقيقتهنّ حيّاتُ
فمن حرب الى حرب ، وبالأحزان نقتاتُ
وصحبتنا وسامرنا ، أباديدٌ وأشتاتُ

و « جي موليبه » قد تسبيه تيجان ودولاتُ
شعوب نحن ضائعة لنـــار الحرب أقواتُ
وها نحن الى مصر لنطلق صيحة الحـــربِ

الانجليزي :

أخي من نحن كي نحكم أو نطغى على الناس
أمِنْ أجل الذي منّت به الأقدار من باسِ
أنقلب فرحة الدنيا مآتم بعد أعراسِ
لأن الله قوّانـــاً ، ومكّن « ايدن » القاسى !
لم لا أتـــرك الأجناس تحيى مثل أجناس ؟
أشعبي طينة أخـــرى تفوق معادن الناس ؟
حبانا الله سلطانا لنوقظ هاجع الحـــربِ

الفرنسي :

أخي أجدادنا ثـــاروا على الطاغوت فرسانا
وكم خلعـــوا عن الباغين سلطانا وتيجـــانا
وكم قذفـــوا زبانية لنهر « السين » شجعانا
سطور المجد من دمنـــا تشع سناً ونيرانـــا
أقاموا الحـــكم مرحمة وما جعلوه سجانا
إذا ارتحلت طلائعنـــا سرت روحاً وريحانا
ولكن يا لنا صرنا دعـــاة الذل والحـــربِ

الانجليزي :

أخي أجدادنـــا كانوا طوال الدهـــر قرصانا
فهم سرقوا .. وهم غصبوا طعام الناس ذؤبانا

طغام نحن من قدمٍ ، دعاة الظلم مذ كانا
وكم سام الدمع المسفوح في « باريس » طوفانا
وباسم الثورة الكبرى أباحوا العسف ألوانا
أرى في الأمس أو في اليوم آثاماً وبهتانا
وما فتئت بنا تلهو وحوش الغدر والحربِ

الفرنسي :

صدقت أخي ... فقد كنا ، وما زلنا ، أذلاءَ
أليس القبر أجـدر بي وبالأحرار أشلاءَ ؟
فلم نخلق لكي ننهش إخواناً أعـزاءَ
أإنسان ولي ناب لقنص الناس أحياءَ
ألا فليخسأ الإنسان ذو الأنياب مـذ جاءَ
فما شعبي سوى طاغٍ يذيـق الناس إيذاءَ
وما فتئت بنا تلهو وحوش الغدر والحربِ

الانجليزي :

وكيف أموت والإرهـاب باقٍ فوق أجيالي
يعيد اللعبـة الحمراء مدفوعـاً بآمالِ
ويحيي الشعب في قهر يفتنه وإقلالِ
وحيث تـراق أدمعهم لبعث نفـوذه الخالي
وحيث تموت آمالي وتخلد ـ بعـد ـ أغلالي
وحيث مواطن الشرفاء في قهـر وإذلالِ
هناك تدق عالية طبول الغزو والحـربِ

الفرنسي :

إذاً سنعيش كالموتـــى أو الآلات .. كالحجرِ
ففي كف الأبالسة العتاة مصائر البشر
نجيء بهم .. ونجلسهم على عالٍ من الشرُرِ
ونحميهم من الأنســـام والأنفاس والنظـــرِ
ونمنحهم مقادرنا غداة الروع والخطرِ
فإن ملكوا فقد صرنا ضحايا المطمـــع القذرِ
وندفع يا أخي دفعاً لأرض النار والحربِ

الانجليزي :

أخي ضلت بنا الأفهام والأوهـــام .. أواهُ
وشرّقنا .. وغرّبنـــا .. ولا مجـــد ولا جاهُ
وقلبي دامـــع .. دامٍ .. تضج لديه شكواه
وعالمنا هو المتعوس .. في الأوحـــال رجلاهُ
حضارته .. تمدينة .. تقدمـــه ... ونعماهُ
أساطير وأحجيـــة .. إذا لم يُعبـــد اللهُ
فرب الكون خالقنا .. وحامينا من الحـــربِ

١٩٥٦

عيد الهجرة ...

عيد أتى فأفقت من أشجاني ومسحت عن دمع جرى هتّان
وهتفت بالأمل الكبير وفي فمي لحب الثنـاء وآية الشكران
ورفعت وجهي للسماء مؤمّلا فيض العطاء بساحة الرحمن
دنيا الحكيم الحق خير معرق ومحبة الإنسان للإنسان
أنا ما رأيت الحقد يرفع صاحباً فيقال عنه هو الجليل الشان
وجوّبت في الآفاق غير مقصّر وارتدت كل مدارة ومكان
وملأت بالعلم الكثيف بصيرتي والفلسفات طريقها أبلاني
وظللت أبحث في الوجود وسره والسير في جنبـاته أعياني
سألته عن كنهه وغموضه وتسائلي الملحاح قد أضناني
ماذا جنيت من التساؤل والأسى؟ ماذا وراء اللف والدوران ؟
آمنت أن الله أعدل حاكم والحق منـه منارة الأكوان
يا ويح قلبي هل تشرب بالرضا؟ أواه مـن بغي ومن نسياني
رباه ذا ضعفي وقلة حيلتي هلا أزلت مرارتي وهواني ؟
دنيا على الشط الكئيب تأرجحت وتهالكت في الشر والبهتان

* * * *

عيد تبسم في تقاسيم الضحى فأنار بالبشر الوضيء كياني
يحنو على قلب تعاوره الأسى ومكائد الأيام والأزمـــان
عش بالأماني الزافلات فأنت إن تيأس غدوت يداً بغير يماني
هذا انبثاق العيد أبلج ضاحك عذب الرواء معطر الألحان
في موكب التكبير يلهج مؤمن وبصادق التهليل جلجل ثانِ
وعلى وجوه الساجدين بشاشة ومع الدعاء حرارة الإيمـــانِ
والراكعون وقد تواءم حشدهم مثل الملائك في وريف جنانِ
ماذا أقول وفي المقال تقاعس فكبا عن الشدة الفريد لساني
أقسمت ما نيل الخلود برغبة تبدو ، ويقصر دونها المتواني
الخلد حب واكتساب فضيلة ولباس مجد ، واعتناق معانِ
الخلد عزم واقتحام حواجز رُويت سبائبه بأحمر قـــانِ
الخلد أن تمسي وتصبح صابراً ثبت الجنان ، بعالم الأحزان

* * * *

يا عيد خبِّر عن صحاب عاقني عنهم تربّص هذه القضبانِ
خبِّر عن الأهل الكرام وما بهم وعن الديار الذاكرات حناني
خبّر عن البيت الذي همنا به حيناً ، وشمنا الحب في الأركانِ
وغداة إقبال الشباب وشدوه بجلائل الألحان والتحنـــان
أذعنت للرحمن إن قدر جرى فالخير كل الخير في الاذعان
أنا في رحاب الله أدرج راضياً تهمى عليّ سحائب الغفران

صادِ سرى الظمأ الأليم بأضلعي فملأت بالحب الأصيل دناني
قالوا انتشى سكراً فقلت حنانكم لو كان يُطلق للملوم يدانِ

* * * *

يا عيد خبّر عن مسامرنا التي رفّت ، وعن عهد بها ريّان
يا عيد طف بالنازحين مردداً نوح القصيد ، ودامع الأوزانِ
واذكر لهم شوقي وفيض مشاعري وقصائدي في القيد والسجّانِ
جفف دموعك يا فؤادي إنما عمر الفتى طيف سرى لثوانِ
دنياك يا قلبي المشوق ضياؤها مهما استطار يؤوب للخفقان
هل عجبت لعـالم لا يرعوي ويظل طول الدهر خدْن طعانِ
أقطابه الحمقى « الثلاثة » أشعلوا بين الأنام مشاعل الطغيانِ
نادوا فأرهفت المشارف سمعها ماذا بربك طنّ في الآذانِ ؟
لهو بألفاظ يديجها هـوىً ووراء ما قالوا صليل سنانِ
لا بأس أن يستمتعوا بنعيمهم وشعوبهم في ماحق النيرانِ
والذرّة الحرقـاء ماذا خطبها تطأ الوجود بمنسم الشيطانِ
إني أراها في المظالم سُخّرت وتوعدت مدنية الإنسانِ

* * * *

عجب أتلك هي الحياة بسمتها أم ذاك حلم جال في الأجفانِ ؟
هي حية رقطاء ذات نعومة وقد انطلت في حلة الرهبان
فاحذر إذا رمت السلامة عذرها قد ينفع التحذيـر لليقظانِ

١٩٥٧

في عيد الأم

« .. وأقبل عيد الأم ، وظلام السجن يكاد يزهق الأرواح »

خبَتْ في غمرة الآلام والبؤس تـرانيمي
وجفّت نضرة الأحـلام من عصفٍ وتحطيمِ
فلا كأسي بمترعةٍ ، ولا رنَّت تقاسيمي
أساقي الليل أوهامي وأحـزاني وتسليمي

* * * *

تعالىْ عانقي الأشواق في قلبي وأحشائي
تعالى قبلما تذوى هي الأخرى بأحنائي
فهذا العمـر يا أماه يحكي برق أنـواء
توارى بَسْمهُ الأخّاذ في أعماق ظلمائي

* * * *

تعـالي رطبي بالحـب والتحنان أيـامي
تعالي باركي بالنـور والدعوات أحـلامي

تعالي بللي بالعطــر والأشواق أنســامي
على كفيلك يــا أماه ما يذري بأسقامي

* * * *

تعالي عانقي شــوقي فقد طالت بنا الغربهْ
وما زال الزمان الجهْمُ يشعل بيننا حربه
جفانا الفجر يا أمي ، فعشنا نبتغي قربه
وهل سيضيع يا أماه عَبْدٌ قاصد ربّه ؟

* * * *

تعالي .. رطّبي سمعي بمعســول الأساطيرِ
فمن ملكٍ له الأزواج في عمر الأزاهيرِ
إلى جنّ معــربدةٍ .. تزمجر في الدياجيرِ
وقولي عن « جحــا » الفنان .. عن رب المساميرِ

* * * *

وهات قصة أخرى عن الذؤبان والشــاةِ
وألغــازٍ وأسرارٍ وأحجيــةٍ غــريباتِ
وجدت الراحة الكبــرى لدى تلك الخرافاتِ
تزيل الهم عن قــلبي ، وتشفى من جراحاتي

* * * *

وقصّي عن « علاء الدين » .. عن مصباحه السحري
وعن عفريته المخبوء طــيّ غلالة البــدرِ
وقصّي عن « سليمان » وعن خاتمه السرّي

و « لبيك » التي فكت قيود الـذل والفقرِ

* * * *

وأبسطة على الأرياح تسبق دفقة الضوءِ
فلا تشـكو إذا انطلقت الى الآفاق مـن عبءِ
بلا قيد .. مجنحة .. وليس تهـاب من شيءِ
محررة أعنتهـا .. تغيث القلب بالبُـرْءِ

* * * *

وأين حديثك الـرقراق عن جنات عدنانِ
وسندسها وخضرتها ، وعن حـور وولدانِ
تميس هنـاك هائمة عـلى خضر وإيمانِ
جمال لم يكن يومـاً ، وما لحظته عينانِ

* * * *

وقصر طوبه البرّاق من حـرّ اليواقيتِ
وردهات منمقـة ، وليست للطواغيـتِ
وأمتعة أرائكهـا ... مذهبـة التوابيتِ
وليست مثل دنيانا ثوت في كف عفريتِ

* * * *

ليالٍ كنت يـا أماه أهـواها وتهواني
وأمرح في مفاتنهـا بأفراحي وأحـزاني
وعقلي الطفلُ يا أمـاه وشّاها بألـوان

مضت ... لم يبقَ لي منها سوى الذكرى وسجاني

* * * *

أعيدك جاء يا أماه والأحـــلام مطموره ؟
وأعيـــادي مدمّاة بســـيف البغي مبتـــوره
أناجي الليـــل والأسجان ، والآمـــال مهدوره
ولا ألقى من الأفراح غير اللفظ والصوره

* * * *

ندوب خطها التـــاريخ في روحي وفي جسدي
فأضنت همتي الشماء في قلبي وفي جَلَدي
أثارت جمرة حمـــراء كالإعصار في كبدي
وما أنا غير مسجون ينوء بغامر النكدِ

* * * *

أعيدك جاء يا أماه والأعياد قد تشقى
إذا عادت وفي يدها مصارع غنوة الشوقِ
إذا عادت وللأحرار زمجرة مـــن الرق
إذا عادت وقد سالت فظائعها على الشدقِ

* * * *

أراك اليـــوم يا أماه في الأعيـــاد تبكينا
فهل جعلوا أغـــاني العيد يا أمـــاه تأبينا
لقد فاضت مشاعرنا ، وما فاضت مآقينـــا
كفانا ذلك الخفّـــاق إذ يبكي أفانينـــا

* * * *

تعالي ودّعي الركْب الذي قاسى .. وكم قاسى
لقد خنقـوه يا أمـاه آمالاً وأنفاسـا
وهم قبروه يـا أماه إقدامـاً وإحساسا
وهم قتلـوا بهذا الركب إشعاعاً وإيناسا

* * * *

أنا في الأمس مـرآةٌ لشعب مرغم باكِ
يشق طريقه المأمـول فيما بين أحـلاكِ
يضمخ كأسه بالدمع رهن خشوعٍ نسّاكِ
ويمضي دامـي الخطوات في صحراء أشـواكِ

* * * *

لكم ساءلت يا أمـاه نفسي عن هـوى الناسِ
أحابيلٌ .. خيانات تخوض ببحـر أرجاسِ
وأخلاطٌ معربدة .. تميـد كشارب الكاسِ
معاييرٌ ملفّقـة تسـاوي الصخـر بالماسِ

* * * *

وطال تساؤلي فيها .. كما طالت شكاوانا
صنعت لقلبي الباكي من الأوهام ميدانا
أصوّر من هموم الأمس أشكالاً وألـوانا
وأمضي في دجنّتها أذيب القلب أحـزانا

* * * *

ألا تدرين يا أماه أن الناس أشتاتُ ؟
وهم في الأمس أو في اليوم بسمات وآهاتُ ؟
وهم كذبوا .. وهم صدقوا .. وهم عاشوا .. وهم ماتوا ؟
فما يضنيك يا أماه والأيام دولاتُ ؟

* * * *

لقد رفّت على ثغري تهاويل وألحانُ
خلاصة همسها المكبوت آهات وأشجانُ
ولست ألام إذ يطفو بقلبي الحيّ تحنانُ
وما أنا غير إنسان ... أجل والله ... إنسانُ

١٩٥٧

صوفيات ...

« إلى روح الشاعر المؤمن عبد الوهاب عزام ، الذي قدم الى قراء العالم الاسلامي روائع الفيلسوف الشاعر محمد إقبال » .

١ ــ أنا والوجود

تشرق الشمس بالضياء وقلبـــي لم تـــزل فيه مسحة الظلماءِ

والنخيل الهيفاء توجها النـــور فمالت نشوانة بالضيـــاء

والرياض الخضراء يطفو شذاها عبقريّ الأريج في الأنحـــاء

وفؤادي من المعاصي عليل أنت يارب في يديك دوائي

٢ ــ نفسي

قالت النفس أنت تبكي طويلا وتسوق النشيد تلـــو النشيدِ

كيف تعمى عن القناعة والصبر وتنسى العزاء في التوحيدِ

كم عليل في ساحة الموت راض كم ثناء على شفاه العبيدِ

قلت يا نفس أنت أصل شقائي كل آن تهفين نحو جديدِ

٣ ـ الحقيقة

قلت للنفس يا لعينة صبراً | إن بعد الممات خلداً جميلا
فأشاحت بوجهها ثم قالت | سرّح الطرف في الوجود مجيلا
انظر الأرض والسماء ودنيا | من جمالٍ ومتعة لن تدولا
قلت بل بهرج خئون وقشر | وبريق قد لا يدوم طويلا

٤ ـ سنّة التحول

حين جاء الشتاء يخطو وئيداً | والسحاب الريّان عبر السماءِ
قالت الشمس يا لظل ثقيل | يحجب النور عن دنى الأحياءِ
يترك الروض للعواصف نهبا | ويبيد السكون بالأنواءِ
فأجاب الشتاء قول حكيم | قد يمل الأنام طول البقاءِ

٥ ـ الوجود مسخّر لي

قد رفعت الكأس الشهي وثغري | في اشتياق ولهفة مجنونه
غير أني لمحت وجه شرابي | في ارتعاش ورغبة مسجونهْ
قال لي الكأس لا تضيّع رحيقي | واتركنّ الحياة فيه مصونه
قلت : كلٌ مسخرٌ لحياتي | وليَ الكون كأسَه ولحونه

٦ ـ القديم والجديد

قلت للريح ما وراءك؟ قالت | مثلما كان يا رفيق أمامي
لست ألقى بين الأنام جديدا | غير لون الدُمى وزيف الكلامِ
كانت الحرب صيقلاً ورماحاً | ثم أضحت في «ذرة» وانقسامِ
غير أني أرى ضحايا كثاراً | وأرى الكون شعلة من ضرامِ

٧ – الثوب الجديد

قال لي صاحبي الوفي هنيئـــاً ذلك الثوب ذو الرداءِ الجميلِ

طبت سمتاً وملبســـاً وشبابا عبقريَّ المنى ، قليل المثيـــلِ

قلت في حسرةٍ وقلبي طعين مفعم بالأسى المرير الطويلِ

أنا عارٍ رغم استطالة ثوبـــي أقطع العمـــر باحثاً عن دليل

٨ – أعدى الأعداء

لا تظنّ الأسوار سجناً عتيداً إنما السجن كان من صنع نفسي

لوثت غـــايتي وعاثت فساداً في كياني ، وولولت يوم عرسي

تقلب الحـــزن راحة وهنـــاء وتميل الأفراح أشجان بؤسِ

لست أدري كيف المسير إلهي إن أعدى الأعداء يا رب نفسي

٩ – جنون

يحسب الناس أنـــه مجنون مسَّه في الظـــلام داءُ الخبالِ

قلت : بل هارب ، يمجّ حياةً كل ما عندها رصيد احتيالِ

تصرع الحق والصفاء غبـــاءً وتريق العفاف تحت النعالِ

يا غريب الديار في قـــوم سوءٍ عش بعيداً عن عالم الجهّال

١٠ – حيرة ..

يا إله الأكوان هـــاك فؤادي ضارعاً تائبـــاً حطيم الأماني

فامحُ بالنور والتيقن ضعفي واملأ القلب بالرضى والأمانِ

ناء يا رب كاهلي بالخطايـــا وكذا بـــاء بالضياع زماني

إن في الغـــرب لوثة ومروقـــا ولدى الشرق ضائعات المعاني

١١ ـ الغاية

أفعلُ الخيــر للأنام ولكن   قابلوني بعبسةٍ وجحودِ
فرأيت الصديق صار لئيمــاً   ورأيت المحب شر حسودِ
أيها الكون هل وراءك سر   انني حــائر بهذا الوجــودِ
قال صوت مزمجر مــن بعيد   افعل الخير .. للإله المجيــدِ

١٢ ـ السكرْ

ليس سكراً إذا نهلت طلاءً   إنما السكر من كؤوس الغرورِ
فإذا ما رشفت منه فحــاذر   من هوى قاتلٍ وداءٍ خطيرِ
رب هرٍّ يرى التوثب سهلاً   ويخال الونى بليث هصورِ
ليت قومي يدرون سرَّ قصيدي   فيكون الســلام في تحذيري

١٩٥٦

مر عام...

« .. ومرت علينا ليالي العذاب الطويلة ، نرقب طلوع الفجر في صبر وألم خلف الأسوار .. ثم توترت الأعصاب عندما جاءنا نبأ العدوان الثلاثي الغادر ... »

ها هنا نامت على صدري المنى ... ورؤى الأحلام أغفت ها هنا
حولنا الدنيـــا أقامت سورها ... يحجب الآمـــال عنا والسنا
كان قلبي كالقطا في وثبــه ... خافقاً بالحـــب خفقاً ليّنـــا
يا ضمير الغيب هـــل أبقيت لي ... غير ذكرى من عذاب وضنى ؟
جف سحر الحب من إعصارها ... وهي تـــذرو بشواظ حلمنا
زعزع الحظ هنـــائي ظالمـــاً ... ليت شعري يا إلهي .. من أنـــا
أنا من نـــاء بآلام الـــورى ... فسكبت الوجد دمعاً ساخنا
شرعتي الخير وفي أعطـــافه ... عشت دهري بانياً لا شائنا

* * * *

كان حلمي يا إلهي باهيـــا ... والهوى يعبـــق طهراً حولنا
عدت كالطائر لمّا أن هوى ... بعد أن طال جناحيه الونى
أرمق الأفـــق كسيراً مقعداً ... لاهث الأنفاس محطوم القنَا
ورفاقي فوق أرواح الهوى ... في الرياض الخضر في واد الهنا
يرشفون الصفو في عرس الضحى ... كالنشاوى بين أزهار المـــنى

* * * *

نحن في وادي النوى لا نرتـــأي غير آلام أهاجت شَجْوَنا
أقبلت في قسوة مجنـــونة تنشب الأظفـــار في أجسادنا
إنها تسخر من آجالنـــا كم تمـــادت فأذابت عمرنـــا
يا لقلب الليـــل في حلكتـــه يكتم الآمـــال في أحنائنا
ويميت اللحن في أفواهنا بيمين بعثرت آمـــالنا
أحرامٌ إن هفت أنغامنا وتهادت في تهـــاويل العنا ؟

* * * *

أنا في ظل الأسى قد أُلهمت شفتاى النـــوح حزناً وضنا
لم أثـــر في وجه دهر غادر ينثر الغـــدر فنوناً فوقنـــا
شيمتي الصبر عـــلى أرزائه هل لدى الصبر حليف غيرنا ؟

* * * *

أيقظ الوجد حنيني حينمـــا جوّب الباغي عـــلى أشلائنا
من وراء البحـــر جاءوا عصبةً ليثيرو الـــروع في أوطاننا
كم لهم في أرضنا من غـــدرةٍ لم تزل آثارها تدمي بنـــا
حرموا الأمـــة من خيراتهـــاً وأزاقوهـــا هوانـــا بيّنـــا
ولكم ثـــرنا على إرهـــابهم غير أن القيد عاقت خطونا
يا إلهـــي إن في أحشـــائنا مرجل يغلي .. وفي أرواحنـــا
أنت تدري ما ثوى همسنـــا وتعي يـــا رب ما في قلبنا
ألقِ بالنـــور على ظلمتنـــا وامحُ بالعفو خطايـــا دهرنا
إن تكن تعرض عن آمالنـــا من لنـــا يحنو علينا ؟ من لنا

١٩٥٦

فلسطين الجريحة...

أنا في غدي. كالشعلة الحمراء تجتاح الهشيمْ
كالنور يكتسح الظلام ، ويفضح الليل البهيمْ
سأثور فــوق بطاح « يافـــا » لا ...... أريمْ
أبني الذي هدمته عادية الخطوب على التخومْ
و« بخان يونس » أرقأ الدمع الذي خضب الأديم

والقدس أرجعها إلى الأحرار والشعب المجيدْ
وأعيدها قدسية الأعطاف كالماضي السعيدْ
وعلى المآذن يهـــدر التكبير في الفجر الوليدْ
وستعلم الأحـــداث كيف نقارع الخطب الشديد
يحمي الإله حشودنا ، وبقلبنـــا العزم الحـــديد

فلقد دعونا للسلام فشوهوا معنى السلامْ
ولقد بررنا بالذمـــام ولم يبالوا بالذمامْ
خفروا عهود الصـــادقين ودبروا تحت الظلامْ
زحفوا .. وفيهم وصمة الأنذال .. بل غدر اللئام

سحقوا ترانيم الأمان ، وبــددوا حلم الأنــام

يا إخوتي أشبال « طه » يا تباشير الصبــاحِ
يا بسمة الفجر الوضيء على الروابي والبطاحِ
.. وغدا تــدق طبولنا يوم المسير إلى الكفاحِ
.. وغدا تفيض جموعنا كالسيل .. أو هوج الرياحِ
تنفي الكرى عن أعين الغافين في ليل الجراحِ

هيا ورائي فالأسى كالجمر يلفح وجهنا
هيا .. فصمــت المرغمين جريمــة في حقنــا
لن تغفر الأجيال نكستنا .. وأيضاً ديننا
هيا لنغسل بالدمــاء حقولنا وديــارنا

يا إخوتي في الله .. في الوطن المضرّج بالدماءِ
يا إخوتي في الصبح .. في الليل المشبع بالبلاءِ
يا إخوتي في الشرق .. في الغرب الصبور على العناءِ
يا قبسة المجد التليــد وشعلة العــزم المضاءِ
هانت مصائرنا ... فهيا نحتسي كأس الفــداءِ

١٩٥٧

يا بدوي ...

« قيلت في ذكرى مولد ولي الله السيد احمد البدوي صاحب الضريح الأشهر في مدينة طنطا » .

بالباب اصطفّت مجاذيبُ وجوار القبـر محاسيبُ
ألوان الطيف جلابيـبُ والصحبة تنشـد في عشقٍ
الله الله يا بـدوي
ويموج ويختلط السـامرْ والمسجد مكتظ عـامرْ
ومع الطبال يـرى الزامـرْ والحادي يهتف من شوقٍ
الله الله يـا بدوي
زفّوا « للسيد » موكبهمْ ولهيب الشوق يجاذبهم
نفحات التوبـة تغمرهم قد بلغوا سـاحات الحقِ
الله الله يـا بدوي
فلاّح قـد باع البقـرة ووجوه ترهقهـا قترهْ
وعيون أضنتها العسره وثغور تصرخ في تـوْقِ
الله الله يـا بدوي

وحشود رايتهـا حمـرا وشيوخ « عمتهم » خضرا
وجمال سحنتها غبـرا هتفوا كالشاكي من حرقِ

الله الله يـا بدوي

مسبحةٌ عانقت الأصبعْ اللؤلؤ فيهـا مترصّـعْ
تتدلى من عنق الأقـرعْ يجري ويـدندن لم يفقِ

الله الله يـا بدوي

والغيد تغـني مسروره بالهودج أضحت مستوره
أنفاس وَلْهى مبهـوره غنِّي .. غنِّي ذاتَ الطوقِ

الله الله يـا بدوي

وخيـام في تلك السـاحهْ وخرافٌ تنحر فوّاحهْ
و « الذكر » يشعشع أقـداحه دعوات تصـدر في صدقِ

الله الله يـا بدوي

و « الصاري » في وسط الرحبه وحواليْه جثث الصحبه
ألحان حـرّى مصطخبه وأنين ملتـاع الشهقِ

الله الله يـا بدوي

درويش يـرغي أو يزبـدْ ويهمهم بالشيخ المفردْ :
يا باب « الزين » يا « سيد » ويوقّع ألحـان العشقِ

الله الله يـا بدوي

يا « سيد » يا خيـر الجارِ يـا سند الضائع والعـاري

عليك رميت بـأوزاري مسلوب الحيلة والنطقِ
الله الله يــا بدوي
تركت الحقــل مع الولــدِ والرغبة تشعــل في كبديِ
ولزمت جــوارك يا سندي يا غيث الرحمــة والرفق
الله الله يــا بدوي
« القطب الأعظم » نــاداني وبجنح الظلمة وافــاني
في الرؤيــا جاء ومنّــاني باليسر مــع الفرج الحــق
الله الله يــا بدوي
وشيوخ الطرق الصوفيه بجفون تبــدو « مرخيّـه »
ولحاهم تقطــر « حنية » تسبي دروبــاً في الــرقِّ
الله الله يــا بدوي
ولدى « المقصــورة » رهبانُ ونســاء طفن وشــبانُ
وضريح « السيد » مــزدانُ بالفضة والوشى الشرقي
الله الله يــا بدوي
ومجامــر تعبق نشــوانه ورؤوس مالت هيمانه
فيخال النادي كألحــانه مأوى للسكران النــزقِ
الله الله يــا بدوي
بنتٌ تشــكو الحظ المــائلْ تهفو للــزوج وتتســاءل
وجبين مخضــوب حائل تدعو « البدويّ » من العمقِ
الله الله يــا بدوي

وفتـى ناشته الأسـقامُ أضناه الـداء الظلاّمُ
الجفن عليـه الأورامُ تكسوه مياذيب العـرقِ

الله الله يـا بدوي

وعجوز يهمس في حزنٍ الدودة قـد أكلت قطنـي
والجوع يعـربد في بطنـي والساعة تبطـىء في الـدقِّ

الله الله يـا بدوي

و« لواحظ » ترقص في السيرك و « علي الكسّار » على الدركِ
وعيون الناس الى الـوركِ ترنو والثـوب المزرقِّ

الله الله يـا بدوي

والساحر يلعب بالحيـه يقتلهـا ويبعثها حيّـه
أو يصنع منهـا جنيه سبحان البـاقي والمبقـى

الله الله يـا بدوي

والحمّص والحلوى الحمـرا تبدو في حمرتها جمـرا
« نشّـال » يخطفها سرّاً ويغمغم محمـرّ الشدق

الله الله يـا بدوي

وبيارق تخطر في الـدربِ وتميل فتلعـب بالقلبِ
تتبعهـا جمهرة الشعب وتتمتم باللـفظ العبـقِ

الله الله يـا بدوي

وهنالك في تـلك الـزفه حشد كالمـوج بلا ضفـه

وجياد تمضي في خفـــه لا تعـــرف مضمار السبق

الله الله يـــا بدوي

و «خليفة مـــولانا» الأكبر البحر الجياش الأزخـــر

أعطوه التـــاج بلا جوهـــر ما فـــاه سوى قول الصدق

الله الله يـــا بدوي

ويجيء وينصرم العـــامُ فتؤوب وتـــربو الآثامُ

وتحط بقلـــبي الأوهـــامُ وصراخ حـــولي في دفـــقِ

الله الله يـــا بدوي

عشاق للدجـــل المزري وحيـــاة مبهمة السحر

تكتظ بألـــوان الشر وتولول في صخب الحمقِ

الله الله يـــا بدوي

أقوام ضـــائعة المعنـــى الذلة فيهـــا لا تفنـــى

فسدت أذواقـــاً أو مبنـــى تتسابق في هوس مُشْقِ

الله الله يـــا بدوي

وتظل جيوش النفحاتِ تلتمس هطول البركاتِ

ويظـــلّ دويّ الآهـــاتِ ينساب لسمعٍ لم يفقِ

الله الله يـــا بدوي

والزينة «والشرف الأخضر» والزار وضجته تسعر

والزامر ذو الوجـــه الأسمر وندامى تشرب أو تســـقي

الله الله يـــا بدوي

وأعود أجـــرجر آلامي أو أنعي نضرة أحلامي

وشعبي الغـــرّ وإسلامي ينداح لسمعي المحترقِ

الله الله يـــا بدوي

١٩٥٧

الرحيــل

« وأخذوهم من بيننا الى بعيد .. هكذا فجأة دون أن ندري عنهم شيئاً . »

صاح صوت النذير هيا الرحيلا فاستطار الأسى وســال عويلا
خدعة هذه الحياة ... أراها كقصور ، وتستحيل طلولا
يبسم البدر في السماء ويمضي تاركاً ظلمة وليلاً ضليلا
آه ما أبشع الظــلام اذا ما كفّن الأفق والرواء الجميلا
وتمادى فوشح الأمــل الحلو فأمسى بــه حزيناً ذليلا
آه ما أثقــل البقاء اذا مرّ وئيداً عبر الاسى وعليلا
انني أنشد الحيــاة أبياً وأخوض الوغى عريقاً أصيلا
لست أرضى مــذلة واعتسافا إن بعد الرضوخ داءً وبيلا

* * * *

أين أين الأولى توارت خطاهم خلف أسوارهم تصل صليلا
يا رفاقي ألا تزال الضحــايا تصرع العسف والظلام الجهولا؟

نترك البغي كي نراه جديدا ؟ يا لقلبي ! ! أهكذا لن يحولا

* * * *

أمة تحمل القيود وتمضي لا تمل الإرغام والتنكيلا

كل ما عندها رصين حنين تزرف الدمع في الخفاء طويلا

ومعايير الهزيمة والنصر.. .. لديها تحولت تحويلا

أمة تجرع المهانة قسرا لا تمل التخدير والتمثيلا

قد طواها تخاذل وامتهان ثم هبت تقدس التضليلا

طال عهد الضباب في شاطئيها فأساءت عقولها التأويلا

يا رفاقي وقد رحلتم بعيد وتركتم منازلاً ونزيلا

إن رأيتم موارد النيل فاضت بالصبا الحلو والنسيم بليلا

وسبى ركبكم تواثب موج النيل .... يهفو وينشد التقبيلا

فاصرفوا وجهكم عن لقى النيل .... وحيّوا لدى رباه النخيلا

هو جاثٍ يقبل الأرض لكن هي تسمو لا تخاف دخيلا

فانزعوا الورد عن شواطئه السود .... وخلّوه عاطلاً أو محيلا

إنما الخصب أن ترى الأرض .... سلاماً ورحمة وعدولا

لو سرى الحق في رباها لعزّت بلقعا مجدباً وجادت سهولا

سيمة الحر أن يمج قيودا ويناوى بساعديه الخمولا

فاذا قرّ فهو شعلة نور وإذا ثار كان سيفاً صقيلا

وهو صخر النجاة في وهج الروع .... يغيث الملهوف والمخذولا

وهو شعب بأسره .. بل شعوب ويرى مفرداً وجسماً ضئيلا

ليس قدر الرجال بالوزن لكن ... هو من لا يرى هنا مستحيلا

* * * *

يا رفــاقي هل أقول فؤادي ... مثْقل بالكثير ؟؟ لا .. لن أقولا

يا رفاقي ألا تحسّون مـــا بي ... فقصيدي لم تبد إلا القليلا

لست أبكي بكاء عجز ولكن ... خفت أن تدرك الزهور ذبولا

فرويت الجذور من ذوب قلبي ... بعد أن عافت الجذور النيلا

يا رفــاقي ألا ترون بأنــا ... نصنع اليوم فجر مصر الجميلا

يا رفاقي لقد أرتنــا الليالي ... أن صبح الصفاء يقفو الأفولا

يا رفــاقي وفي غدٍ سنغني ... غنوة النصر والنشيد الجليلا

سوف تصفو موارد وعيــون ... فرّ عنها القذى طريداً خجولا

١٩٥٧

قصة في قصيدة :

سراب ..

لنا في حيّنـــا جارُ رماه الدهـــر بالنكدِ
طوال العمر دوّارُ حليف الهم والكمدِ
يروح لحقله صبحا
ويقضي يومه كدحا
ويغفو جانب المجرى
ويشرب ماءها المـــرّا

وكانت عنده بقره

طوى الأيام مسكينـــا ويقنـــع باللقيمات
قنوعاً صابراً حينا وحينا إلْـف أناتِ
يكيل لربه الحمـــدا
وإن أرخى وإن شدّا
ويصبر صبر أيوب
لأمرٍ منـــه مكتوبِ

أليست عنده بقره ؟

وجاء السيد المالكْ وقال ، وقوله قَدَرُ
وأصدر أمره الحالكْ فكان الذل والوضرُ
وقال لجارنا هيّا
ودع أرضي وشطّيا
ولم يذكر له السببا
ولكن زاده ندبا

وما بقيت سوى البقره

بكى بدموعه الحرّى وحقّ لمثله الألمُ
وجرّ حطامه جرًّا ولم تنهض به هممُ
أضاعوا منه فدانا
ولم يعطوه تبيانا
لقد هدته بلواه
ففاضت منه عيناهُ

وكانت مثله البقره

فلا البرسيم يأتيها ولا تنداح للحقلِ
غدت لا شيء في فيها لكم تشتاق للأكلِ
وزينت بنته الكبرى
وسعدى أختها الصغرى
واحمد.. ساحب البقره

وعيسى ... فوقهم قتره

وجف الضرع بالبقره

وسعدى هدها الظمأُ فلا خبز ولا لــبنُ
ترى اقــرانها ملأوا بطونهمو وقد سكنوا

« أريد الخبز يا أمي
برمت بجفوة النومِ
أريد الخبز قد جعنا
وليس لعيشنا معنــى

أنذبح يا أبي البقره ؟

ولكن ويحها سعدى نداها ضاع كالأمسِ
إذن فسكوتها أجدى لأن البيت كالرمسِ

ويصرخ أحمد الباكي
وعيسى الجائع الشاكي
كأن البيت في مأتمْ
وطيف الموت قد حوّم

وطاف الحزن بالبقره

وجاء الليل كالماردْ فلف سواده الــدارا
وهب نسيمه الباردْ وفي أجسادهم سارا

وصاحت زينب : « البردا »
فعاد لها الصدى فردا
سرت في قلبها الرعده
ذوت في الركن كالقرده

وعيناها الى البقره

أبوها قال يا زينبْ غداً نقتات في نَهم
ألا تلفين ذا الغيهبْ دياجيه إلى عدم
فما ليل بلا صبحِ
ولا حسن بلا قبحِ
لنا رب هو الباقي
على كفيه أرزاقي

ورزق الناس والبقره

وجاء الصبح وضّاءَ وثغر الشمس بسَّامُ
ويمضي الناس أخْلاَءَ وفي دنياهمو هاموا
« زيد » يرفع الفأسا
« عبيد » يقرع الكأسا
ورأس فوقها جرّه
وكف تنثر البذره

وأخرى تسحب البقره

وأحمد ! ! أين أنغامه إذا ما سار بالبقره ؟
وكيف جفته أحلامه فخالطه عيشه كدره ؟
أبوه صار في الخَدَمِ
لرب الأرض والحشمِ
وتلك الأم غسّاله
كأن وجودها عاله

وماتت .. ماتت البقره

وأحمد صار مأجورا وعيسى عامل المصنعْ

وسعدى عافت النورا غدت عمياء لا تنفـــع

وزينب ويحها زينبْ

إلى « ترحيلة » تذهبْ

تعيش هناك أيـــاما

تزيد الروح أسقاما

وضاع الحقل والبقره

* * * *

أرى بالدرب قافلةً

صباحَ مساءَ موغلةً

وحاميها هو اللهُ

وحاديها هو اللهُ

فأبشر صاحب البقره

فتى اللــد ...

« قابلته في معسكر اللاجئين قرب عمان في عام ١٩٥٤ ، فقلت : من أي بلد الفتى ؟ قال : من اللد ، قلت شهدت مذبحتها الشهيرة ؟ هتف وفي عينيه دموع : « الثأر .. الثأر » .

علام التجنّي وفيم العَثَــرْ — وأمر الأنــام بأيدي القدرْ
ولكن حذار .. حذار الكرى — فيارب صاحٍ يذود الغِـيَرْ
حباك الإلــه مكين الهدى — فأنت القضاء ، إذا مــا صدر
وإن تبغ مجداً وطيداً فكن — رهيف الشباة حديد البصر
ولا تنس ثأر الأولى ضُيعوا — ببطن الوهــاد وبين المــدر
فَقِـدْماً سمعنا نداء البقــاء : — « إذا رام حر خلوداً ثأر »

* * * *

أتاني الفتى وهو غضّ الإهاب — طليق المحيــا وسيم الصور
وكان على سمته حكمــة — جلتهــا الليالي وكرّ السحر
وفي خطوه بان حزن عميــق — وكم ناء بالحزن جهد البشر
طليق المحيــا لضيف عزيــز — عميق الأسى من خئون غــدر
فمنه علمت ابتســام الثغور — وبكيا القلوب وشعبا صبر

سألت الفتى أين بالأمس كـان ومهد الفتى البيد أم في الحضر
وما خلْت أن سؤالي هـوًى سياطاً تئز ولوماً هدر
رأيت الدمـوع على خـده تخط الأسى في الإهاب النضرْ
وغامت رُبى الشام في عينـه فخال الرياض يبابا صَفَـرْ
وما عاد يسمع غير الصدى صدى شعبه الحر حين احتضر
وما عاد يبصر غير الجـوى ومجداً ثوى في ظلام الحفر
فأين الصحاب ومهد الصبـى وخضر الروابي كحلم خطرْ
وأين ضفـاف على تبرهـا شربت الهنـاء وقلبي سكر
أفرد للشمس في خدرهـا وأرمق كالصب وجه القمر
وكم فاض كأس بذوب الضياء وقد كلل الفجر هام الشجر
صحوت .. فلا الكأس بين يدي ولا فجر هذا الوجود ظهر
بلادي .. بلادي . على أرضها رضعت الحنـان بعهد غبر
ومنها ملأت ربوع الجنـان بمجد الجدود وماضي الخبر
فمالي أرى اليوم شعبا سرى ضليل الخطى مستذل الفِكَرْ

* * * *

أنخشى من الدهر صولاتـه ونمسي ونصبح رهن الحذر ؟
أنقبـع في خيمة بالـوهاد يجللنـا بأسنا والخور ؟
سنضرب صخر الحياة العتيّ ويا رب ماءٍ هي من حجر
فما نحن ممن غفا بالكهوف وآب إليهـا حسير النظـر
ولا نحن نبكي طلولاً لنـا ولا نسفح الدمع فوق الأثر
سنمضي رعوداً على رغمهم ونبعث أنفاسنا تستقـر

ونشعلهـــا كالجحيم فما غدوت أرجّى بريق الشرر

* * * *

أتسألني أين بالأمس كنت ومهدي أنا البيد أم في الحضر؟
بلادي بـــلادك لست أنـــا ولا أنت إلاّ ضحايا البشر
ويجمعنا في الوجود الخطوب ودين وضـــيء وفخر عبـــر
وأمجاد « طـــه » وقرآنـــه وعصر الشجاع الطهور « عمر »
وذكرى « صلاح » وإقدامـــه وصولته حين خاض الوضر
أتسألني أين بالأمس كنت ومهدي أنا البيد أم في الحضر
سل « اللدّ » عني وعن خالدين طواهم ثـــراها بيوم أغـــرّ
فإنا نبـــاهي بيوم الفـــدا وأيامنا الحمرْ هن الظَفَـــرْ
دمانا على الرمل كانت لظى تمـــور وتغـــلى كليث زأر
ولكن صدعنـــا لأمر أتـــى فكان الضيـــاع وكان الضرر
ويـاولنـــا إن أطعنا الخئـــون وشر البـــلاد خئون أمـــر
وقالوا « السلام » فقلنا « السلام » وأبْنا نلوك الأسى المنتظـــر
ولم نـــدر أن الخئون بغـــى ولم نـــدر أن العدو أئتمر
ولم نصح إلاّ على عصبـــة أتونا بليـــل حلوك عشـــر
فلم يرحموا الطفل أو أمـــه ولا رونق الشيب حين انحسر
وقمت لأسبح فوق الدمـــاء وما زورقي غير كف القدر

* * * *

وهأنذا بين عصف الأسى وشعب شريد يسوق العبـــر
فقدت أبـــى والحبيب أخي وأمي وداري منـــذ الصغر

* * * *

أتسألني أيــن بالأمس كنت ومهدي أنا البيد أم في الحضر ؟
سل « اللدّ » عني وعن خالدين طواهم ثــراها بيوم أغــر
فإنا نباهــى بيوم الفــدا وأيامنا الحمــر هنّ الظفر
سأهتف بالثــأر أنّى رحلتُ وأعمــل للثأر طــول العمر

في طريق الاهوال

أخي ضاقت بنـــا الأيام واحتضرت بواكيري
وأقفر روضتي الريان واختنقت أزهيري
وما دنياي أو دنيـــاك الا بعض تغـــريرِ
لقد عشنا على مضضٍ وتهنـــا في الدياجيرِ

* * * *

مضوا بأبيك يـــا محمود من عامين لم يرجعْ
وكم صحنا به في الهول علّ أباك قد يسمع
ونصرع في الأسى الدامـــي وعشنا يا أخي نصرع
فأشقانا انتظـــار طال والأقـــدار لا تسمع

* * * *

وصرنا رغم محيـــاه بدنيا الناس أيتاما
أرى الخيرات أنهارا وطيف الجوع قد حاما
نعيم قد حرمناه ونقضي العمر صوّاما
وأورثنا الطوى الموصول أوجاعاً وأسقاما

* * * *

حياة كلها ظمأ وكدت أعاف دنيانا
وكان أبوك يا محمود ملجأنا ومأوانا
إذا جعنـــا فمن عرق الجبين الحـــرّ أعطانا
وإن نظمأ فبالأحراق والأرواح روّانا

* * * *

فما ذنبي ؟ وما ذنبك ؟ خبّرني لكي أفهمْ
أسائل حظنا المنكـــود ، لكن حظنـــا أبكم
ونبكي .. والليالي السود رغم الدمع لا ترحم
لقد سجنوا أبي المظلوم .. والآمال .. والمطعم

* * * *

تعالى ها هنا ليلى .. تعالى نمـــزج الدمعا
رأيت الناس قد فقدوا ضياء العين والسمعا
وأين فضائل الإنسان ؟؟ أضحت بيننا صرعى
ألا خسأت أراضينا إذا ساءت لنا مرعى

* * * *

تعالى ها هنـــا ليلى لنسمع عصف أتراحي
توارت في فجاج الليل آمالي وأفراحي
ولم تترك بنـــا الآلام غير فضول أشباحِ
ونهر شبابنا الفيّاض أمسى بعض ضحضاحِ

* * * *

تعالى قبلما تـــأتي بسود ثيابهـــا أمي
فلا تبكي إذا حضرت فأمك مجمع الهم

وأمل لم تــزل تحيي برغم البؤس والغمِ
ورغم تنكل الأحباب من خالٍ ومن عم

* * * *

أنصبح نطرق الأبواب ؟ يا للذل والحسرهْ
ومد الكف واأسفاه مثــل الموت للحرّه
فلا عجبٌ إذا عفنــا مذاق اللقمة المــرّهْ
ونكتم سرنا المحزون لكن حالنا جهره

* * * *

متى سيعود يا محمود كي تنجاب بلوائي
ترى أيعود يــا رباه ذاك الشارد النائي
ليحمينا من الحرمان والإذلال والداءِ
كجمر النــار أشواقي ، تعربد بين أحنائي

* * * *

فما الدنيا ؟ وما الأعمار إن عشنا أذلاّءَ
نداجي العيش إرغــاما ، وندفن فيه أحياءَ
يثور مزمجــراً صوتي ليفنى بعــدُ أصداءَ
ونزعم أننا نحيي .. أجــل .. نحيي أذلاّءَ

* * * *

ومرت لحظة خرسا على ليلى ومحمودِ
يخالط صمتها المتعوس إعصارات تنهيدِ
تململ فيه محمودٌ كمغترب على البيد

تململ كالأمـــاني البيض في أيـــامه السودِ

* * * *

وقال إذا بـــدا حظي كئيب السمت موصوما
ففي غدنا – إذا عشنا – نلاقي القيد محطوما
ويرجع عقـــد سامرنا – بأمر الله – منظوما
فأمر الخلـــق للخلاّق حكّاماً ... ومحكوما

القرية العذراء

« .. كانت تفصلني عن قريتي ـ شرشابة ـ مئات الأميال وفي القرية العذاب والظلام والرعب .. كان خيالها يتراءى لي في كل حين .. »

أنا المشتاق للأنسام والأنغـــام والعطرِ
إلى « شرشابة » الخضراء ذات الحب والسحرِ
إلى حاراتهـــا السمحاء أو أبياتهـــا السمرِ
عشقت حنانها الفياض رغم الجدب والفقرِ
نداعب باسم الأزهار والأثمار والنور
وأسكرنا الهوى الصافي بلا كأس ولا خمرِ
نسابق في ظلال « التوت » ظبيات الهوى الثرِّ
أنا المشتاق يا « شرشاب » يا فضيـــة البدر
ويا معسولة الأحلام عند تثاءب الفجر
ويا ذات الشذى الخطّار فوق حقولك الخضر
أنا المشتاق يا « شرشاب » يا أنشودة الطهرِ
ويا ذهبية الآصـــال يا وضـــاءة النحر

أسرت فؤاديَ المحـــزون رغم قساوة الدهرِ

* * * *

أجل أشتاق للحملان والأبقار والنهرِ
هناك نسوقها لسنا نخاف مرارة القهر
ونرضعها اذا جعنا ، فتمنحنا بلا زجرِ
أجل أشتاق للطنبــور حين يفيض بالخير
وحيث الكدح والإصرار في دنيا من الصبر
أروّي الأرض من عرقي وأجني نابت التبرِ
وأعلم أن أرزاقــي أفجرها من الصخــر

* * * *

أنا المشتاق يا شرشاب شوق الحب والشعرِ
بقلبي شعلة رعناء توقظ هاجع الفكر
لقد أسلمت للرحمــن يا مهد الصبى أمري
بذلت لأمتي السمحاء من مالي ومن عمري
فخان الغدر آمــالي ، وذقت تعاسة الغدرِ
فيا للناس من ناسٍ ، ويا للعصر من عصرِ
بنيت لمجدهم قصراً ، فزفونــي إلى قبرِ
أقمت لفخرهم حصنا فكنت ضحية الفخرِ
وَقدْ تـهـمـو الى نصر أنا القربان للنصرِ

* * * *

أنا المشتاق يــا شرشاب رغم العسف والقسر
ورغم شماتة الحساد .. رغم النـــاب والظفر

أردت الخير – وا أسفا – وخضت بمسلك وعرِ
ألا يجني الأباة هنا سوى الأشواك والشر ؟
فمن قـــرٍّ وإعصارٍ الى الرمضـــاء والجمر ؟

* * * *

قبعت مسامراً قيدي ، وقلبي نافـــر يجري
إلى أجوائلك الفيحا .... إلى أياملك الغـــرِّ
وفي كبدي أيـــا شرشاب لوعة غائب تفري
وكم في عالم القضبان من ذكرى ومن ذكرِ
لقد أصبحت في حبـــي بلا عذر ولا سترِ
وصرت بعـــالم الأسوار مغلوباً عـــلى أمري
برغم القيـــد يا شرشاب طيفلك نحونا يسري

* * * *

ألا يا عـــابر الأنسام هل فيك من خبْرِ ؟
عن النائين عن عيني .. بل الثـــاوين في فكري
وعمن فارقوا يومـــاً فراق القهر لا الهجرِ
أتدري عابر الأنسام ما شوقي ؟ ألا تدري ؟
لكم خالطت أنفاسي وآهـــاتي التي تبري
حنين لم يكن يقوى على إيوائه غيري
سطور خطها دمعي ، ويا للدمع مـــن حبر
فخذها أنـّة المحزون في وادي الأسى المذري

١٩٥٦

عيد ميــلاد

يا رفاقي قد أتى عام جديدْ
مفعم بالصمت والسر العتيدْ

ليتني أدري خفايـــا صمته
وطوايا سره النـــائي الشريد

عندها أعلـــم ماذا خطبـــه
وأنا فيـــه شقى أم سعيد

كيف بالله – وقد حرنا بـــه
تحسبون اليوم في الأيام عيد

لست أدري يا رفاقي أي عيد

قد حسبت العيد في الماضي الحبيبْ
وأنا طفل هو الثوب القشيبْ

طالما اختلت بـــه مستلهمـــا
رائع الأحلام في العيش الجديبْ

فإذا بالثـــوب يبلى تاركـــاً
رعشة ترتاد في غصني الرطيب

وإذا بالحـــلم ينجاب أسىً
مثلما الغيم مع الصيف يغيب

يا لقلبي أي حلم أي عيد ؟

وحسبت العيد في اللهو الجميلْ
انثني فرحان في وادي النخيلْ

حوليَ الصحب على أفواههم
غنوة العصفور أو شد الهديـــل

تارة نركض من خلف الظبا
ثم نجري كي نرى سحر الأصيل

فأتى الغـــدر بأستارٍ له غيبت عني الهوى الغض النبيلْ

كيف يا صاح تقول اليوم عيد ؟

ونما عودي وأدركت الشبابْ وشباب المرء مسحور الإهابْ
في حنـــاياه جمال متـــرع برؤي الحب ومعسول الرغاب
كأسه الشهد وفي أحلامه جنة فيحـــا عذراء الجناب
أنا إن سرت فما فوق الثرى كنت أخطو بل على هام السحاب

قلت يا قلبي لعل اليوم عيد

كم سهرنا في ليالينـــا الطوالْ رهن شدو وجموح في الخيالْ
وهرعنا خلف أطياف المنـــى لا نبالي بشعاب أو تـــلالْ
سبحة الأحلام لا تـــرنو إلى ساحق الأغوار أو عالي الجبالْ
إنها تسري ولكن ويحهـــا سوف تمضي لخفوت وزوال

أمع الأحلام إذ ينجاب عيد؟

قلت إن العيد جمْع الدرهمِ لجراح الدهـــر خير المرهمِ
مهد المـــال طريقاً شـــائكاً وأماط الستر عن وجه عمى
هو رِدْءٌ من رزايا دهـــرنا وهو كالناب وظفر الضيغمِ
ما بغير السيف أجتاح الوغـــى أو بدون المال يوماً نحتمـــي

قلت بالدينار هذا اليوم عيـــد

ثم حال الأمر أو حم القضاءْ سنّةٌ لله ما فيها مراءْ
بعثر الكف كما ينبغـــي ولم يبق في الجيب سوى قبض الهواء
ليس يعنيني من اليوم سوى لقمة العيش وأثمـــال الرداء

كل حي سوف يمضي للردى أي جمع منتهاهُ لعفاء

هل ترى في ذاك ما تدعوه عيد ؟

وحسبت العيد حباً ووفاءْ مشرق الأعطاف بسّام الرواء

تنهل الأرواح فيه كأسها مترعاً بالخير والآي الوضاء

تلتقي فيه قلوب طالما هدها الكيد وأحقاد الجفاء

لم أجد غير اصطناع ماهر لابتسام قد بدا فيه الرياءْ

أي عيد يا إلهي أي عيد ؟

اطفئوا بالله هاتيك الشموعْ إن عندي مثلها خلف الضلوعْ

كم جرى دمعي غزيراً فوقها علّها تطفأ من فيض الدموع

هالني منها لهيب حارق وبها للدمعة الحرّاء جوع

هكذا دمعي وعمري كله لذهوب وانسكاب وخضوع

فلم الإصرار أن اليوم عيد

ليتني رافقت أسراب الغزالْ حيث لا شر ولا زيفُ يقالْ

نصعد الآكام في صحوتنا حولنا طهر وضيء ورمالْ

نمزج الروح بأعطار الهوى ونذود العقل عن بحث الجمالْ

نأخذ الدنيا كما أبدعها بارىء الأكوان من غير ابتذال

حينذا أهتف إن اليوم عيد

أنا باكي الشعر مجروح النسيبْ واجم الإحساس من أمري العصيب

كلما غنيت لم ألفظ سوى شهقات الحزن في لحني الغريب

وإذا صمت عن الشعر جرى بين أضلاعيَ في وقع الوجيب

ليتني ألقى بعيداً مهربـــا أنزوي فيه بمحياي الخضيب

حيث لا يهفو إلى قلبي عيد

بذراع أوهنته النائبـــاتْ وفؤاد أنهكته الجائحـــاتْ

عُـمْتُ في بحر عتيد صاخب أصرع الأمـــواج القناة

طال صبري في تهاويل الدجى فوهى عزمي وأعياني الثبات

لم أشم شطّاً بآماد الأسى وخفوق النور في الآفاق مـــات

من إذن قال بأن اليوم عيد

تلك أيامي خطوب داجيـــهْ مثقلات بجراح داميـــهْ

خلتها حلماً رهيباً قد سرى تحت أجفان رقاقٍ باكية

أخطأ التفسير قلبي ويحـــه وتبدت لي الفجاج العاتيـــه

يا جراحي وخطوبي الداجيه خبريني .. خبريني ما بيـــه ؟

قهقهت ثم روت : اليوم عيد

أنا كالطيف لدى أسلاف أمسي واصطحاب الجور والأوهام ينسى

كلما صحت بألحان الأسى يتهادى الصوت في أثمال همسِ

إن أُذْن الكون صمّاء فـــلا تحسبنّ الكون قد صاخ لجرسي

ليس يعنيه سعودٌ أو شـــقا وهو ما اهتم بحـــزن أو بعرسِ

ليس أمسى أو غد الأيام عيد

غير أني قلت ما ذنب الزمان ؟ ثم ماذا قد جنى هذا المكانْ؟

سخّراً مثلي فـــلا لوم إذا هما للغايات قهراً يركضانْ

ربما أشقاهما عمراهمـــا وأذيقا من عذاب وهوانْ

شهدا القصـــة من أولهمـــا حين قال الله : « كن ياذا » فكان

أترى هل كان ذاك اليوم عيد ؟

لم لا أمض كما يهوى القــدرْ لا أبالي ، أتغاضى أم غــدرْ

فاتحاً عيني على أنعمـــه شاكراً ، والخير فيمن قد شكر

مغضياً طرفي عن اليوم الذي خانني التوفيق فيـــه وانحسر

إنما الثورة طبْعٌ في دمـــي منذ أن جـــال على أرضٍ بشر

إن مثلي ليس يلقى أي عيد

حكمت جلَّت فمن يدري الحكمْ رب نعماء وفي طيّ النقـــمْ

وشجاع صـــح في مظهـــره وهو في الحق ملاذ للسقم

وحصيفٍ ـ فاض من أعطافه خالد الأمثال ـ واهٍ من عدم

كل مـــا أعلم أنـــي ذرة في محيط مشمئز محتدم

هل أنا اليوم على أعتاب عيد ؟

نسمة هبّت وطافت بالعيونْ فشجاها الدمع والدمع هتونْ

همست بي : أنت ياذا مـوثقٌ وأرى الأغلال صيغت من ظنون

كيف للأوهام تمضي خاضعاً وعلاما أرهقتِ تلك الجفون

إنما العيش ثـــلاث كله اصطبار واعتراك وفنون

فاعلم الآن بأن اليوم عيد

١٩٥٦

أغـــاني الغرباء

« إلى التي تنتظر في صمت وصبر وإيمان »

هل تذكرين ؟

لا شك أنك تذكرين مراحنا تحت الخميله°
نجني هوانا الغضّ أشواقاً معطرة جميله°
نرنو لعــذراء المنى ، ويلفنا ثوب الفضيله°
ونعبّ خمرتنا الحــلال نسائماً تهفو عليله°

هل تذكرين ؟

أيام كنا ننشــر الألحان في همس خفيض°
نلهو .. ونهزج بالحيــاة يظلنا أمل عريض°
الحب ثروتنا التي تربو ، ومعــزفنا القريض°
كنا أصحاء القلــوب بعالمٍ دامٍ .. مريض°

باكي العيون

نمحو شقاء البائسين ونــرقأ الدمع السخين°
في موكب قلق الأمــاني لا يكف عن الأنين°
وتوسّلات المتعبين تضج في الليل الحزين°

كنا نواسي الضائعين بغمـــرة الألم اللعين
والتائهين
واليوم قد جار الزمان فصرت ضمن التائهينْ
في غربتي أحسو الأسى متربصاً برم الجبينْ
ما أثقل الليل الطويل على جفون النازحينْ
الحاملين على كواهلهم تهاويل السنين
هل تعلمين ؟
إن الحياة على الغريب أشق من هول المماتْ
مفجوعة النجوى .. معذّبة الخواطر والسمات
وشروقها مثل الغروب ، وشدوها لحن النعاةْ
فهي الفراغ المدلهمّ ومدفن للأمنياتْ
وبلا خدين
أنا لست كالرهبان أحيي في صوامع عزلتي
بل أعشق الدنيا الكبيرة لا أديـــن بوحدتي
الناس .. والأكوان .. والحب الرحيب .. شريعتي
هل تعجبين إذا صرخت بشكوتي من غربتي ؛
هل تعجبين ؟
أنا لست أرضى أن أعيش بشاطىء الدنيا غريبْ
في معقل الصمت الكئيب على ثرى وادٍ رهيبْ
الحزن أغنيتي وأحلامي يوشيهـــا الشّحوبْ
أنا لست أرضى أن أكون صدى هزيلاً في الدروب
مثل السجين .

قد طال ترحالي فهــل لمسافر يوماً مآبْ ؟؟
أترى أعود لقريتي ، وتعود أحلام الشباب ؟؟
وأرى أبي والحاملين فؤوسهم عَبْرَ الشعابْ
العائدين من الحقــول يلفهم ليل السراب
الكادحين
هم يا حبيبةُ أهلنا ، في ظلّهم ذقنا الحياه
حيث الأوز جوارنا يخطو ، وتصطرع الشياه
كلٌّ يخطّ على الثرى حقلاً بأوسطه قناه
يمضي على سنن الجدود مقلّداً فيها أباه
يا للحنين !!
هم يا حبيبة صانعو التاريخ آمال الغــدِ
قنعوا بما دون القليــل قناعة لم توجــدِ
أعطوا .. وما أخذوا سوى ذاك القديد الأسودِ
الله يعلم أنهم سرّ الكفاح السرمدي
الصابرون
أترى أعود إليك يا سمراء نمرح من جديدْ ؟
مترنمينْ بلحننا الهاني وماضينا السعيدْ
ونعود للكأس الحلال ونشوة الحب الفريدْ
متحرريْن من الأسى والحزن والألم العتيد ؟
هل تضرعين ؟

غداً نلتقي

هناك أخي فوق متن الـــربى وعبر السهول غداً نلتقي
نثير النيـــام ونحيي الــرميم ونبعث فيهـــا الندا المحنقِ
تضجّ الزلازل في أضلعـــي وتعوى الجـــراح على مفرقي
وشعبي يسير إلى مجـــده حديد العزيمة والموثـــقِ
فأهتف لست أمـــل الهتاف غداً يا صحاب :

غداً نلتقي

هناك أخي لن نهاب الردى ونقصف كالرعد فوق البطاحْ
نصبّ على الوغد جام الأذى ونصعق بالنور ليل الجراحْ
أأترك شعبي على بؤسه حليف الهوان أسير النواحْ
يئن إذا ما ترامى الدجـــى ويبكي إذا ما تهادى الصباحْ ؟
ولكن برغم الأنين الذي يموج ، أصيح :

غداً نلتقي

إذا فرق السجن أجسادنا ونادى منادي الجوى والفراق
وبت تقاسي الضياع به وأصبح عيشك مـــر المذاقْ

وصارت لياليك مثل الجحيم وأحلامك البيض رهن المحاق
فلا تأس .. لا تأس مما تـــرى فلا بد بعد النوى من تلاق
ولا بد أن يستجيب الإلـــه إذا ما هتفت :

غداً نلتقي

تفطر قلبـــي بوادي العذاب وماجت به طاغيات الدموعْ
لقد مـــزق العسف آمالنـــا وطار الأسى بين تلك الربوعْ
ولست أعي غير رجع الصدى وهمس الونى وأنين وجوعْ
أرى المستبد غدا كل شيء وذابت حواليه هذى الجموع
ولكن رويـــدك إني أحس هديراً يصيـــح :

غداً نلتقي

هناك أخي حين يبدو الصباح أنادي الرفاق « أتى موعدي »
لأرجع للشعب حق الحيـــاة نظيفاً .. طليقاً .. طهور اليدِ
وأوقد للشعب نـــار الخلود فتهفوا الحشود إلى موقدي
وأحدوهمو في غمار الكفاح وعبر الرياض ، وفي المسجدِ
ففي كل ركن لنـــا صولة فهيا ، ونادِ :

غداً نلتقي

أتحسب أن طريق الهـــدى ومنعطف الخير سهل العبورْ ؟؟
لدى السفح تسمع شدو الهزار وعند السحاب هدير النسورْ
بذلك ســـار القضاء الحكيم وحكم الزمان وكرّ الدهور
فَدُسْ فوق شوكٍ .. تقدمْ .. ولا تخف .. فهناك سلام ونور

ومرعى خصيب.. وأيْكٌ حبيب وظل .. وزهــر

غداً نلتقي

وريح الجنوب أخي قد سرت فأنعشت الشوق في روحنــا
تفتح قلبي لعذب الشــذى فماج الحنين ، وفرّ العنــا
تلوح لعيني دنيا الجمال ورطب الهوى وظلال المنى
وحلم يبين برغم الضنى طليق الأسارير حلو الســنا
وصوت من الغيب غنّى لنــا هناك .. هناك

غداً نلتقي

١٩٥٧

الحياة ... وامرأة (١)

ما زلت أذكر يوم أن أقبلت كالظلّ الحنونْ
كانت حياتي لفحة نــارية عبر الظنونْ
لا شيء أعرفه سوى أشجان ماضيّ الحزينْ
ظمآن يغرقني الأسى في أمسيات من أنين
وأتيت أنت كأمنيه
رفّت كأقدس أغنيه

وأضأت دربي يا حبيبةُ بالســعادة والجمالْ
فسبحت في دنيا – كدارات الملائك – من جلالْ
أترعت قلبي بالشذى من بعد أن قاسى الملالْ
أحببت حتّى عاذلي ، ونسيت أحقاد اللياْل
والحب يغفر يا فتاه
الحب من نور الإله

---

(١) الرمز في القصيدة ، والربط بين الحياة والمرأة لا يخفيان على فطنة القارىء ...

وظننت أن شبابيَ المحروم قد عاف الألمْ
وأنا وحبك سوف نمضي لن تزل بنا قدمْ
نشدو بأغنية الخلــود ولا نفكر في العدم
وغداً سنسخر من متاهــات التعاسة والعدم
ونظل ننعم بالجمــالْ
هانين في دنيا الخيالْ

حتى شربت الطهر من عينيك .. من نبع الحياه
أحسست أن بمهجتي ظمأً وفي قلبي فــلاه
وعلى شواطىء عمري المسجون نادتني الحياه
هرولت أنشدك المزيد ، وذاب عن قلبي أساه
فرأيت أنك تبخلين
وذكرت حرمان السنين

ألهبت أحلامي الكسيحة فانتفضت ولم أنم
طلقت أيام الوجوم ، وعفت أوهام القِدَمْ
وحسبت أن بقابــل الأيام مأثــور النغمْ
لا بأس في قلبي ولا موت الأماني .. لا ألم
لكن رأيتك مدبره
وعلى جبينك معذره

فيم إذن كان التلاقي والتراتيــل الشجيّهْ
فيم بكاؤك يــا رفيقة في لياليـنــا الشهيّهْ

أحقيقة كان البكاء تميمة النجوى الهنيه ؟
واها .. كتبنا بالدموع سطور طهر سرمديهْ
أترى أكنـــا واهمين
في مهرجان من ظنون

كلا .. فها شفتاي بالماضي وبالذكرى تغنّي
وأنا الذي لم يبد في أشواقه طيف التجنّي
وفؤاديَ المشبوب منك ، ولحنك القدسيّ مني
روحان جمعنا الهدى ، فالحب أغنيتي ودنّي
أصبحت في وادي الريبْ
لا صدق أعرف لا كذبْ

وتشابكت في خاطري ، صور التشكك واليقينْ
أمسيت كالأعمى يئن بعـــالم الوهم الحزين
عادت لياليه الطوال بسمتها الدامي اللعين
حيران بين ربوعها السوداء موصول الأنين
وعلى شواطئها البعيده
واريت أحلامي الشهيده

وشبابيَ المجروح لم ترحمه عاصفة القدرْ
ظل الطريق ، وروعته مكائد لا تزدجر
وغدا اللظـــى المحموم مؤنسه وآهات الضجر

طال المسير حبيبتي .. أواه من طول السفر
أأعود للذكرى المريره ؟
نفسي موزّعـــه كسيره

فلتذهبي .. وأنا هنـــا باقٍ على عهد الضنى
فلتذهبي .. يا من فرشتِ سبيل حبي بالجوى
ما عدت أبكي إذا رحلتِ ، وهل سيشفيني البكا
فلقد خلقت لشقوتي ، لليأس في دنيا العنا
أورثتني اليأس العتيد
علمتني القلق العنيد

ولسوف أرضى بالظلام ولن أضيق ووحشتي
أرتاد في دنيا النواح وانتشي من خمرتي
كأسي التي ملأت أسىً وتزودت بالشقوةِ
هي سلوتـــي في عالم أنغـــامه من آهتي
وبـــلا ضجيج أو رنين
أمضي إلى عشي اللعين

ملآنةٌ روحـــي بشوقٍ وارتعاشات وجوعْ
لكن حذار .. ما لغير الله أسرفت الركوعْ
فلتذهبي مغـــرورة .. لا تحسبي أني خنوع

وغداً .. هنالك .. نلتقي في عالمٍ زاهي الربوعْ
الموت بــرزخه الجميلْ
والصفو معدنه الأصيلْ

هذي الحيــاة حقيقة شوهاء كالمسخ القبيحْ
بكماء .. تزعم أنها منحت براعات الفصيحْ
أنا يا رفيقــة عندها حيران كالطير الذبيحْ
كالصفقة الحمقاء باعوها بلا ثمن ربيح
ما أرخص القلب الكبير
في سوقها القاسي الحقير

فإذا طوى جسدي المغيبُ وطوقته يد الحفر
ومضيت للأرض البعيــدة لا رفيق ولا سمر
وغدوت كالخبر القــديم يذيبه مر العصر
مثل الملايين التي راحت .. وأغفلها القدر
فترنمي بالأغنيــات
بشراي أن جاء الممات

فأنا سعيد يا رفيقــة يوم أهبط مضجعــي
ستذوب أطماع الحيــاة ولن تزجر أدمعي
سينام قلبي بعــد أن قاسى وتهدأ أضلعــي

وحنان روحي المستهام ، وذكريات تفجّعي
فهناك قد مات الشعور
وتحلل الأمل الجسور

هات اسقني كأس الكآبة واستقِ الألحان مني
وازرع طريقي باللظى والشوك .. بل من كل فنٍّ
واعزف على قيثـــارة الآلام والأحزان لحني
يا واهب الأفراح خذ أفراحك البلهاء عني
العمر مأساة طويله
والمجد ملحمة هزيله

صرخة ...

أنا في قبري المهجور قـد مزقت أكفاني
أغرد رغم أغـلالي على أطلال أحزاني
وأهتف بالصباح الطلْق في عزم وإيمانِ
وقد أصبحت لا أفْرق من سوطٍ وسجّانِ

هنا في عالم الأسوار قد شعشعت كاساتي
ورغم جحيمه القتّـال ألمح فيه جنّاتي
وعبر النار والآلام تشرق فيه غايـاتي
أنا ابن النور والإيمان في ليل الأسى العـاتي

فما عشنا لكي نندب في حربٍ ضحايانا
خلقنا من جديب الدهر والتاريخ بستانا
وقد خطرت كتائباً تروع الإنس والجانا
بروح الحق صائلة ، لدين الله فرسـانا

أنا الصامد في النكباء تعرفني ميـاديني
ومن شوك الأسى المشئوم قد نبتت رياحيني

أنا الأمل الذي يخفق في أرض المساكين
لقد ساروا على أثري ، وقد طربوا لتلحيني

أنا حرٌّ وإن شابت جلال العيش أسوارُ
طريق الـــراحة الخرساء إفنـــاء وإهدارُ
سأمضي رغم ما ألقاه ، والإقدام إصرارُ
سأمضي أصنع التاريخ لا آعنو لمن جاروا

هيــا ...

هيّا ورائي فالأسى كالجمر يلفح وجهنــا
والقيد .. يا للقيد !! قد أكلت نضارة عمرنا
والذل من طول المدى أفنى جلالة مجدنا
هيا .. فصمت المرغمين جريمــة في حقنــا
لن تغفر الأجيــال زلتنا وأيضــاً ديننا
الأرض دنّسها العــدو وناشنا في وكرنا
هيا لنغسل بالدماء حقولنا .. وديــارنا

فهرس

كتب للمؤلف

روايات

١ ــ الطريق الطويل .
٢ ــ في الظلام .
٣ ــ عذراء القرية .
٤ ــ اليوم الموعود .
٥ ــ رأس الشيطان .
٦ ــ الربيع العاصف .
٧ ــ النداء الخالد .
٨ ــ الذين يحترقون .
٩ ــ أرض الأنبياء .
١٠ ــ طلائع الفجر .
١١ ــ ليل الخطايا .
١٢ ــ ليل العبيد .
١٣ ــ ابتسامة في قلب شيطان .
١٤ ــ الكأس الفارغة .
١٥ ــ قاتل حمزة .
١٦ ــ الرايات السوداء .

مجموعة قصص صغيرة

١٧ ــ موعدنا غداً .
١٨ ــ دموع الأمير (رجال الله) .
١٩ ــ العالم الضيق .
٢٠ ــ عند الرحيل .
٢١ ــ عمر يظهر في القدس .

دراسات

٢٢ ــ اقبال الشاعر الثائر .
٢٣ ــ شوقي في ركب الخالدين .

٢٤ ـ الإسلامية والمذاهب الأدبية .
٢٥ ـ الطريق الى اتحاد اسلامي.
٢٦ ـ المجتمع المريض .
٢٧ ـ أعداء الإسلامية .

شعر

٢٨ ـ أغاني الغرباء .
٢٩ ـ عصر الشهداء .

مسرحيات

٣٠ ـ على أسوار دمشق .

صدر حديثاً

٣١ ـ دم لفطير صهيون .
٣٢ ـ أغاني الغرباء .
٣٣ ـ عصر الشهداء .
٣٤ ـ إقبال الشاعر الثائر (طبعة جديدة) .
٣٥ ـ احوال الدين والدولة .

تحت الطبع

٣٦ ـ نور الله (جزءان)
٣٧ ـ الظل الأسود .
٣٨ ـ عذراء جاكرتا
٣٩ ـ مواكب الأحرار .
٤٠ ـ فارس هوازن .

مطابع دار الكتب
بيروت — لبنان
ص.ب ٣٥٥٩